العلامة عبد الرسول علي خان

تحديد النسل
من وجهة نظر إسلامية

دار المهاجر

تحديد النسل ...
من وجهة نظر اسلامية

العلامة عبد الرسول علي خان

تحديد النسل

من وجهة نظر إسلامية

دار المهاجر
للطباعة . والنشر . والتوزيع
بناية اللعازارية - شارع الأم جيلاس
الطابق السادس - مدخل أ - ٤
بيروت - لبنان
تلفون ٢٥٧١٣٥

حقوق الطبع محفوظة للناشر

الطبعة الثانية ١٣٩٣ هـ ـ ٢١٩٧٣

بسم الله الرحمن الرحيم

« والله جعل لكم من أنفسكم ازواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات ، أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون » .

القرآن الكريم
النحل ٧٢

مقدمة

مسألة تحديد النسل ، كانت في السابق ، مسألة مزاج تحدث في اوساط اجتماعية معينة ، وعلى نطاق ضيق وبمقتضى ظروف اختيارية صرفة يتفق فيها الزوجات لمبررات خاصة . لذلك لم يكن البحث فيها ملحاً وضرورياً .

اما اليوم وبعد ان تجاوزت المسألة نطاقها المزاجي الاختياري الضيق ، واصبحت عامة شاملة تدفعها الازمات والضغوط الاقتصادية والاجتماعية ، وتحمل طابع التحديد القسري والالزامي ، فلا بد من ابانة وجهة النظر الاسلامية فيها ، لكي يكون المسلم المؤمن على بينةٍ من الحكم الشرعي ، ملتزماً به متقيداً بنهجه وارشاداته وتعليماته الحقة ، التي هي وحدها القادرة على تحقيق السعادة والنعيم له ، وتجنيبه البؤس والانحراف والضياع والشقاء .

ا نتحديد النسل لا يتم بوسيلة واحدة وكيفية واحدة حتى يتمكن المرء من معرفة الحكم الشرعي باختصار ، (مسموح به او غير مسموح) ، وانما يتم بوسائل متعددة ، وكيفيات مختلفة ، ويختلف الحكم الشرعي حسب الوسيلة

المستعملة وكيفيتها . فهناك وسائل تمنع تكوّن الجنين اصلا وتطبق تحت شروط اختيارية تامة بين الزوجين وبطرق صحية تامة ، ذلك ما قد سمحت به الشريعة الغراء ، اذا ما كان هنالك من مبرر له . واما الذي يحصل تحت ظروف قسرية ، كتشريع دولة قانون لتحديد النسل واجبار الامة على مسايرته ، او ما يحصل بعد تكون الجنين مهما كانت المدة فهو من غير المسموح شرعاً .

وهذا الكراس ، الذي بين يديك عزيزي القارىء ، بحث قيم لم يكتف مؤلفه العلامة والاديب من بحث مسألة تحديد النسل من وجهة نظر الاسلام بل ــ ولكي يعطيه الشمول والموضوعية ــ تطرق الى مواضيع اجتماعية واقتصادية ونفسية ترتبط بموضوع الكراس ارتباطاً عضوياً مما زاد في البحث غنى وفائدة .

ونظراً لخطورة الموضوع والحاحه ، وتتيجة لشعورنا بكامل المسؤولية الاسلامية الملقاة على عواتقنا ، أقدمنا على نشر هذه السطور مساهمة منا في توضيح الحكم الشرعي الملزم لمن يريد ان يهتدي ، راجين من الله العلي القدير قبول هذا المجهود باحسن قبوله فهو اللطيف الخبير ... وهو الغاية والرجاء .

الناشر
دار المهاجر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد الرسول القائد وعلى آله الهداة الميامين .

الشمول والاستهداف في الاسلام

لم يكن الاسلام الهادف عبادة فحسب أو صلة بغيرك وبنفسك لا غير بل هو جماع من ذلك كله اذ تراه في الوقت الذي يلتفت فيه اليك لينظمك شخصيا في صلتك أنت بنفسك بالاخلاق والملبوسات والمطعومات والمشروبات وما شاكل : يشدك الى غيرك دولة ومجتمعا واسرة وأفرادا منظما لك الصلة به في العقوبات والمعاملات والجوانب الحياتية الاخرى ، كما وانك لتلاحظه ـ بذات الوقت ـ: يتنبه الى صلتك بربك المتعال فيحكمها ويمتنها لك في العقيدة والعبادات احكاما وتنظيما كان من كافة جهاته وواجهاته بناءاً ومعطاءاً .

ولم يكن الاسلام الا مستهدفا ومركزا في كافة أحكامه

وعامة تشريعاته وبشكل واضح ومبسط ومدرك من قبل الذين منحوا الوعي واليقظة والاحساس المرهف والعبقرية والروح المتوثب المتطلع الى المعرفة وطلابها ، الامر الذي دعا كثيرا ممن تتوفر فيهم المواهب والميزات المنوه عنها الى اعلان رأيهم وتسجيل اعترافاتهم بتركز الاسلام وشموله في نظمه واستهدافه واستيعابه في تعاليمه والى اطلاق حكمهم وشهادتهم أخيرا : بصلاحه واهليته هو لا غير وكفاءته وصلاحيته فحسب : لقيادة سفين العالم كله نحو شواطيء الخير والجمال والامان والانتظام والعرفان والايمان رافع الرأس وفور الكرامة مسدد الخطى الخطأ فاتحا مينون النقيبة جامعا متوفرا على كل الاشياء والشؤون في كافة المجالات والحقول للحياة الاولى والاخرة .

« ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين » [1] .

هذا وقد كان من بين العباقرة الافذاذ المدركين لتلك الخواص والامتيازات فيه : المفكر الغربي الكبير : برنادشو العظيم الذي هزته روحية الاسلام الخلاقة ونظمه الهادفة فادلى بانطباعه الطيبة وتثميناته القيمة بهذا الخصوص كان منها ما مضمونه :

---

(١) الآية ٨٩ من سورة النحل .

« ان اليـــوم الذي نرى فيه شعوب الارض كافـــة مجتمعة على بساط واحد عادل ترفرف عليه الويه الديـــن الاسلامي عالية خفاقة يدفعها شعورها بضرورة ذلك لهو منا قريب جدا » كما كان منها بخصوص الاشادة بدستور الاسلام الخالد القرآن الكريم قولـــه : « ان في القـــرآن ما يضمن حياة العالم الى نهاية العالم » « دين وتمدين » ج ١ ــ ٢ للاستاذ محمد علي الحوماني •

فلسفة بعض احكام الاسلام

هذا • ومن اجل آن تتلمس بيدك جوانب الشمـــول والاستهداف في الاسلام ــ وبشكل أوسع ــ فما عليـــك الا أن تقرأ معي خطبة الزهراء الرائعة التي قد انطوت على كشف وابانة أسرار وفلسفة اضمامة عبقة ومجموعة ثمينة من تشريعات الاسلام البناءة ، محاولة منها الى تعميق تلك الجوانب المشرقة ، وترسيخ المعاني الاصيلة الهادفـــة هذه في نفوس وافكار الامة ضاربة بمحاولتها البانية هـــاتة : القدوة المثلى والمثل الاعلى ــ مطبقة وداعيـــة ــ للمسلم الرسول للمسلم الذي يعيش اسلامه سلوكا ويحيى علمـــه عملا يكاشفه حتما بتسامي الاسلام وروعة الاحكام ليرى كما رأت عليها السلام : الايمان تطهيرا من الشرك والصلاة

تنزيها من الكبر والزكاة تزكية للنفس ونماءاً في الرزق والصيام تبيينا للاخلاص والحج تسنية للدين والعدلتثبيتا للقلوب وطاعتنا نظاما للملة وامامتنا لما للفرقة والجهاد عزا الاسلام والامر بالمعروف والنهي عن المنكر مصلحة للعامة وبر الوالدين وقاية من السخط وصلة الارحام منسأة في العمر ومنماة للعدد والقصاص حقنا للدماء والوفاء بالنذر تعريضا للمغفرة وتوفية الموازين تغييرا للبخسة واجتناب القذف حجابا من اللعنة والانتهاء عن شرب الخمر تنزيها من الرجس ومجانبة السرقة ايجابا للعفة ، والتنزه عن اكل أموال اليتامى والاستئثار بفيئهم اجارة من الظلم والعدل في الاحكام ايناسا للرعية » [1] .

أرأيت أعمق من هذا الفهم وأبدع من هذا التركيز في الاحكام الاسلامية هذه بصورة عامة ، وفي طاعة وامامة أهل البيت عليهم السلام بخاصة ، اذ بطاعتهم والانقياد التام لاوامرهم يحصل للامة النظام والانتظام ، وبامامتهم وعلى مقاييسهم تتوحد الكلمة ويلم الشعث ويقضي على الفرقة وعلى مفاسد تسلط العناصر غير الكفؤة التي تضر ولا تنفع وتهدم ولا تبني .

(١) اقرأ (من وحي اهل البيت) للمؤلف .

أجل .

بمثل هذا الاستهداف والاستقامة وبعد المرمى وسعة الافق وسلامة الحس والرحمة والشمول : فتح الاسلام فتحه المبين واستمر ويستمر في مواصلة الفتوح حتى يؤدي به ذلك الى الانتصار الكامل والظهور الشامل الموعود به والمشار اليه « هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » .

الآية ٩ من سورة الصف .

الزواج في الاسلام ، فلسفته ، أهدافه

هذا .

وان من جملة التشريعات الاسلامية التي تتسم بالحكمة في الهدف والبعد في القصد والمصلحة في التشريع (الزواج) الذي هو في الاسلام عبارة عن التوافق والانسجام ، والامتزاج والوئام ، والوحدة الحقيقية التي ليس لها انفصام .

« ومن آياته أن خلق لكم من انفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون » .

الآية ٢١ من سورة الروم •

أجل •

وأيم الحق انفيهذه الظاهرة الحية والصورةالمتحركة الملمع اليها والى عائداتها في الآيــة الكريمة المذكرة بــدأ الخلقةونشوءالخليقة استنهاضا للضمير ان يستيقظ وللفكر ان يغور ويتعرف على مدى الحكمة والاستقامة في هــــذا التشريع الصاعد الذي هو عبارة عن موضع صالح للدرس ومحل قابل لتسريح النظر يؤدي بالناظر حتما الى الشكــر والايمامة والاعتراف بنعمة الرحمن حقا وعلى يقين •

والزواج في الاسلام أيضا قــدر محتم ومسؤوليــة اجتماعية تستهدف الحفاظ على النــوع والمحافظة علــى المجموع والعمل على انمائه وتوسيعه وها هنا يعطيالاسلام رأيه واضحا أخاذاً فتوافي قولة الرسول القائد محمد صلى الله عليه وآله بهذا الشأن فصيحة صريحة لا لبس فيهــا ولا ايهام : (تزوجوا فانيمكاثر بكم الامم غدا في القيامة)[1] ويؤكد ذلك (ص) مرة أخرى بل مرات ومراتليوجهالانظار الى عطاء التشريع الرائد فيقول : ما يمنع المؤمن أن يتخذ

---

(١) اقرأ ! قلائــد الدرر في بيان الاحكام بالاثـــر) ص ٣٨ ج ٣ط ث •

أهلا لعل الله ان يرزقه نعمة (نسمة) تثقل الارض بلا إله الا الله » .

واني ادع اليك ــ قارئي العزيز ــ معرفة ــ سرالرفعة والروعة في كلمة (تثقل) التي لها وقع النغم في الاسماع والشهد بالافواه كما وانك ستدرك المغزى بالانعام في كلمة (ما يمنع) ذات الحساسية التي قد يستشف منها التعريض والثورة على الدعاة الى الكف عن الزواج لاسباب مادية أو لمحاذير وهمية فكأنها انما وافت ونهضت لتعمق مدلول الآية الكريمة التالية التي تعهدت لمن يتوق الى الزواج ــ وهو من ذوي الفاقة والعوز ــ بالغنى والسعة أعلاما له بوفرة موارد الرزق ، وادراكا لما يبعثه الشعور بالمسؤولية من نشاط للعمل ومجانبة للكسل ان الحاجة تفتق الحيلة كما يقولون .

« وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم » .

الآية ٣٢ من سورة النور .

تشجيعا منه وبعثا قويا ودفعا حكيما الى تكوين الاسرة اللبنة الاولى والقاعدة الاساس للمجتمع ـ بعد الفرد ـ المتراصة صفوفه المتحابة الفاضلة سجاياه الطيبة نواياه الذي قد خطط له الاسلام بأطاره الدولي والاسرى والجماعي ، بله الفردي : مخططا كاملا يوجهه به الوجهة الصحيحة الصالحة في كل جوانب الحياة ومنذ ان بدأت هذه الحياة .

« شرح لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » .

الآية ١٣ من سورة الشورى .

ثم يستمر في عملية البناء فيؤكد ذلك بالتحليل والتفصيل مبينا أنواع العلاقات والضوابط العامة والخاصة كوسيلة للاسناد والايضاح « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت ايمانكم » .

الآية ٣٦ من سورة النساء .

هذا .

وان الاسلام لا يأتي بتشريع الا ويدل ذلك التشريع ويشير بنفسه الى الحكمة فيه والغاية منه ، فالتشريع الذي قد وافي به من أجل ضبط العلاقة بين الرجل والمرأة في الاجتماع قد أبان وكشف بذاته : ما فيه من أصول الحكمة والفطرة والروائع والاسرار تماشيا مع مبناه العام ذلك.

المفهوم الاساس للزوجية .

وأول شيء يشار اليه بهذا الصدد وينوه عنه بهذا الخصوص : هو قوله تعالى : « ومن كل شيء خلقنا زوجين » .

الآية ٤٩ من سورة الذاريات ، الذي يشير الى عموم القانون الزوجي وشموله ، والذي يعلن فيه صانع الكون فلسفة الصناعة وحكمة الابداع والخلقة ، فيركز على أنه قد أنشأ هذا المعمل الكوني على قاعدة الزوجية ، فجميع الآية ومكناته قد خلقت أزواجا ، وكل ما يلاحظ من بدائع الصنع في هذه الخليقة راجع الى تلك المزاوجة بين الاشياء. وليست تلك المزاوجة في الحقيقة والواقع الا كون شيء متصفا بالفعل وآخر متصفا بالانفعال ، وكون التأثير في احدهما وفي الآخر التأثر ، وفي هذا العقد وفي ذاك الانعقاد. وما هذا الفعل والانفعال ولداتهما الا هو علاقة الزوجية

بينهما والعلاقة هاته هي الاصل لتركيب الاشياء في هـذا العالم . وعلى هذا التركيب يجري نظام هذا الكون . فكل شيء فيه قـد خلق زوجين ، وكـل زوجين من الازواج المتشاكلة يرتبطان ـ من حيث المبدأ ـ بهذه العلاقة التـي يكون احدهما فيها مؤثرا والآخر متأثرا وقابلا .

ولا ريب في ان هذه العلاقة تختلف باختلاف طبقات المخلوقات كيفية وصورة . فمن أنواع المزاوجة ما يوجـد بين العناصر والجواهر ، ومنها ما يكون بين المركبات غير النامية ، الى آخر تلحظه بين الاجسام النامية ، ونوع تعهده في أنواع الحيوان . وكل هذه الانواع من المزاوجة تختلف في نوعيتها وكيفيتها ومقاصدها الفطرية ، ولكنها متفقـة تماما في أصل الزوجية وجوهرها .

ولتحقيق مقصود الفطـرة الرئيسي ـ وهو حصول التركيب وحدوث الهيأة المركبة في كل أنواع هذا الوجود من أي طبقة كانت ـ : لا بد وان يكون احد زوجيه متصفا بقوة الفعل والآخر بقوة الانفعال . واذا اتضح وتقرر هذا المفهوم للآية المذكورة فان الباحث سيستنبط ويدرك فيه ثلاثة مبادىء اولية للقانون الزوجي : اولها ان الدستـور الذي قد طبع الله عليه الكون والطريق الذي قد جعله سببا لسير نظامه لا يمكن ان يكون نجسا مكروها ، بل هو ـ

من حيث الاصل والجوهر ــ نظيف محترم وهكذا يجب ان يكون ، وقد يخالفه اعداء هذا النظام ويجتنبونه زاعمين بأنه شيء بشع ومقيت بيد ان بارىء هذا النظام ومالكه لم يكن يريد لدولابه ان يقف وتتعطل حركته ، وانما يروم ان يبقى معمله الكوني بكافة أجهزته وجوانبه مستمرا في عمله وان تبقى آلاته كلها تقوم بوظائفها فيه .

والثاني ان صفتي الفعل والانفعال كليتهما لازمتان معا لتسيير هذا النظام ، وان لوجود الفاعل والمنفعل أهمية سواءاً في هذا الكون .

ولا فضيلة للفاعل من حيث هو فاعل ، ولا ضدها للمنفعل من جهة انفعاله ، كما وان من كمال الفاعل ان تكون فيه قوة الفعل والصفات الفاعلية على أتمها حتى يستطيع القيام بواجب الخدمة الفعلية من الزوجية ومن كمال المنفعل ان تكون فيه قوة الانفعال على اكملها ليحسن القيام بالجانب القبولي والانفعالي للزوجية . وكما انك اذا أزلت جزءاً من اجزاء ماكنة صغيرة عن موضعه ، واردت استخدامه في مكان آخر لامر آخر لم يصنع له ، ما كنت في رأي الناس الا سفيها أخرق ، وكنت حريا ــ اولا ــ بأن لا تنجح في محاولتك هذه ، وان أبيت وجهدت في الامر جهدك ، ما زدت على ان تكسر المكنة كسرا ، كذلك حال

ماكنة هذا الوجود الضخمة . فان اهل السفاهة والخرق قد تحدثهم انفسهم بان يضعوا الجزء الفاعل منها مكان المنفعل ، او يضعوا الجزء المنفعل مكان الفاعل ، ثم قد يمنعون في حماقتهم ويروحون يسعون لتحقيق ذلك ،مؤملين النجاح في سيعهم هذا . ولكن صاحب وصانع هذه المكنة ما كان ليفعل مثل فعلهم ، وانما شأنه أن يضع الجزء الفاعل موضع الفعل أبدا ويربيه حسب ذلك ، ويضع الجزءالمنفعل موضع الانفعال أبدا ويربي فيه القدرة الانفعالية ليس غير . والثالث انه مما لا شك فيه ان للفعل نوعا من الفضيلة على القبول والانفعال . ولكن ليس من معاني الفضيلة هذه آن مع الفعل العز ومع الانفعال الذل . وانما هذه الفضيلة من حيث القوة والغلبة والتأثير فايما شيء يفعل فعلا في شيء آخر ، فانما يفعله لكونه غالبا عليه واقوى منه ولأن له قوة على التأثير فيه .

والشيء الذي يقبل فعله وينفعل به ، فما علة قبوله وانفعاله الا كونه مغلوبا وضعيفا ومستعدا للتأثر به ، وكما ان حصول الفعل يستلزم وجود الفاعل والمنفعل علىالسواء كذلك من اللازم ان يكون الفاعل متصفا بالغلبة وقوة التأثير ، والمنفعل بالمغلوبية والقابلية للتأثر . ذلك انه ان كان كلاهما يساوي الآخرة قوة ، ولم تكن لاحدهما على الآخر غلبة ، لم يتأثر احدهما بالآخر وانتفى حصولالفعل.

فالثوب ، ان كان فيه من الصلابة ما في الابرة لم يمكن فعل الخياطة والارض ، ان لم يكن فيها من من الدماثة واللين ما تقبل به فعل الرفش والمحراث فيها لم تكن الزراعة والبناء . ومحصل القول ان كل ما يقع في هذه الدنيا من من الافعال ، لا يمكن ان يتم احد منها لو لم يكن ازاء كل فاعل منفعل ، ولو لم تكن في المنفعل قابلية للتأثر بفعل الفاعل .

لذلك من مقتضى الطبيعة في الزوج الفاعل ــ من الزوجين ــ ان تكون فيه الغلبة والتحكم ، مما يعبر عنه بالذكورة والرجولية ، لانه لا بد له منه لأجل القيام بوظيفته من حيث هو عامل فاعل . وعلى العكس من ذلك ، من مقتضى الطبع الانفعالي في الزوج المنفعل ان يكون فيه اللين والرقة والنعومة والتأثر ، مما يقال له الانوثة والطبع النسوي وذلك لأن هذه الصفات هي التي تمكنه من النجاح في الجانب الانفعالي من الزوجية . فالذين لايعرفون السر هم فريقان اثنان فريق يحسب فضيلة الفاعل الذاتية بمثابة العز والكرامة فيعد المنفعل ذليلا ممتهنا ، وآخر ينكر بالمرة تلك الفضيلة المخصوصة بالفاعل ، فيريد ان يحدث في المنفعل أيضا تلك الصفات التي يجب ان تكون في الفاعل ولكن الصانع الحكيم الذي قد صنع الجزئين

ينصبهما في ماكنته على نحو يضمن لهما المساواة في الكرامة والعزة وفي العناية والتربية ، ويضمن لهما مع ذلك ان تنشأ فيهما صفتا للغالبية والمغلوبية اللتان يقتضيهما الطبع الفاعل والمنفعل في الزوجين لتتحقق غاية المزاوجة بينهما ، لا ان يكونا كحجرين متساويين في الشدة والصلابة ، قد يحتك احدهما بالآخر ، ولكن لا يمكن ان يحصل بينهما امتزاج ويحدث بامتزاجهما تركيب • هـذه هي المبادىء التـي تستخرج من مفهوم الزوجية الابتدائي ، وان مجرد كـون الرجل والمرأة زوجين بأعتبارهما وجودا ماديا • يقتضي ان تراعي هذه المبادىء فيما بينهما من الصلات ، وستعلم فيما يأتي ان القانون الاجتماعي الذي قد وضعه فاطر السموات والارض قد روعيت فيه هـذه المبادىء الثلاثة مراعـاة كاملـة •

« الفطرة الحيوانية في الانسان ومقتضياتها »

وتعال الآن تتقدم خطوة في البحث • ان وجود المرأة والرجل ليس وجودا ماديا فحسب ، بل هو أيضا وجـود حيواني، ولننظر ما هو مقتضى كونهما زوجين بهذا الاعتبار جعل لكم من انفسكم ازواجا ومن الانعام أزواجا يذرؤكم فيه » (الشورى : ١١) « نساؤكم حرث لكم » (البقرة ٢٢٣) •

ففي الآية الاولى قد ذكر الله تعالى خلق الانسان والحيوان كليهما أزواجا وبين الغاية المشتركة بينهما من ذلك بقوله « يذرؤكم فيه » أي ان تجري بعلاقتهما الزوجية سلسلة التناسل • ثم افرد النوع الانساني عن سائر الانواع في الآية الثانية وبين أن العلاقة ما بين الزوجين من هذا النوع دون سائر الانواع الحيوانية ، كالعلاقة بين الحرث والحارث وهذه حقيقة احيائية ، وأحسن تشبيه لصلة المرأة والرجل من جهة علم الاحياء ويستنبط الباحث من هاتين الآيتين مبادىء ثلاثة اخرى •

١ ــ ان الله قد خلق الازواج الانسانية كالازواج الحيوانية ، لكي يجري بعلاقتهم الجنسية النسل الانساني ويبقى النوع وهذا من مقتضيات الطبع الحيواني في الانسان مما تجب مراعاته • فالله تعالى لم يخلق النوع الانساني لأجل ان يمتع بعض أفراده انفسهم بمتاع الحياة هذه، ثم يموتوا وينقرضوا ، بل هو ــ سبحانه ــ يريد ان يبقى هذا النوع في الارض الى أجل مسمى ، وما ركب الميلان الجنسي في فطرته الحيوانية الا حفزا لأزواجه على التواصل والتناسل ليعمروا بذلك أرض الله • فكل قانون ينزل من عند الله ليس من شأنه ان يكبت هذا الميلان الجنسي او يقضي عليه ، ولا ان يدعو الى احتقاره واجتنابه ، بل لابد

ان يكو نفيه مجال لتمكين المرء من الاستجابة لحاجته الفطرية .

٢ ــ وقد بين الله تعالى بتشبيهه للمرأةوالرجل بالحرث والحارث ان العلاقة بين زوجين الانسان تختلف عن التي تكون بين زوجي الحيوان وقد ركبت اجسامهمامن الوجهة الحيوانية أيضا ــ دع عنك الوجهة الانسانية ــ تركيبا يستلزم لعلاقتهما الدوام والثبات الذي يكون لعلاقةالحارث بحرثه . فكما أن الحارث لاينتهي عمله في الحرث بمجرد القاء البذر فيه بل يكون من واجبه ان يسمده بعد ذلك ويسقيه ويرعاه ويسهر عليه كذلك ليست المرأة بمزرعة يلقى فيها من يمر بها بذرة كيفما اتفق فتنبت شجرة برية . بل هي اذا حملت ، تحتاج الى ان يقوم حارثها بكفالتها ورعايتها .

٣ ــ بين الزوجين الانسانيين من الجاذبة الجنسية هو بأعتبار علم الاحياء من نفس النوع الذي يوجد في سائر أنواع الحيوان . فكل فرد من جنس واحد يميل ميلانا حيوانيا الى كل فرد من الجنس الآخر . وما ركب في طباعهم من النزعة القوية الى التناسل ، يجذب جميع الافراد من الصنفين الذين يصلحون له فعلا ، بعضهم الى بعض . فالقانون الذي وضعه فاطر هذا الكون ما كان

ليغفل عن هذا الجانب الضعيف من فطرة الانسان الحيوانية، لانه يكمن فيه ميلان شديد الى الفوضى الجنسية، لايمكن ضبطه وتحديده الا بالتدابير الخاصة من التحفظ والاحتياط.

وان انفلت هذا الميلان من القيد مرة، فلا يمنع الانسان شيء عن تحوله الى الحيوان بل الى اسفل أنواعه.

« لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات » (التين ٤ـ٦).

« الفطرة الانسانية ومقتضياتها »

ان الطبع الحيواني ـ كما اسلفنا ـ كالاساس في خلقة الانسان وعليها رفعت قواعد انسانيته. لذلك كان كل ما يحتاج اليه الانسان لبقاء وجوده الفردي ووجوده النوعي، قد ركب الله في طبيعته الحيوانية المنزوع اليه والرغبة فيه والاستعداد لتحصيله. وليس من مشيئة الفطرة ألا تقضي أية رغبة من تلك الرغبات، او يبطل جانب من جوانب ذلك الاستعداد، لأن هذه كلها أيضا لازمة للانسان، وبدونها لا يمكن ان يعيش ويبقى نوعه. وانما تريد الفطرة ألا ينحو الانسان في قضاء تلك الرغبات

واستخدام ذلك الاستعداد نحوا حيوانيا محضا .

بل يجب ان يكون طريقه في ذلك انسانيا بحسب ما يقتضيه طبعه الانساني من الامور ، وبرعاية ما جعل في نفسه : طلبه من المقاصد فوق الحيوانية . ولهذا الغرض قد وضع الله تعالى حدودا شرعية ، كي تضبط اعمال الانسان بضابطه ، ثم حذرة بأنه ان تعدى تلك الحدود مائلا الى الافراط أو التفريط ، ألقى بيديه الى التهلكة « ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه » (الطلاق : ١) .

ولننظر الآن أي خصائص الفطرة الانسانية واي مقتضياتها في الشؤون الجنسية هي التي يشير اليها القرآن الكريم :

١ ــ الذي اودعته الفطرة الانسانية من نوع العلاقة بين الجنسين يفصله القرآن بما يأتي « خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة » (الروم : ٢١) وبآية « هن لباس لكم وانتم لباس لهن» (البقرة : ١٨٧) .

فالآية السابقة في الصفحات الماضية التي ذكرت كون الانسان والحيوان معا خلقا أزواجا ، جعلت المقصود بخلق الزوجين بقاء النسل وحده . فالآن قد أفرد الانسان عن

الحيوان وذكر من خاصته ان له من وراء الزوجيةمقصدا اسمى واجل ، وهو يجب ان لا تكون بين زوجية علاقة شهوة فحسب ، بل تكون بينهما علاقة حب ومودة وانسٍ وعلاقة تأتلف بها القلوب وتتصل بها الارواح ، ويكون أحدهما موضع سرٍ للآخر وشريكه في البؤس والرخاء ، ويكون من الملازمة والاتصال الابدي بينهما ما يكون بين الجسد والثوب • فهذه العلاقة بين الصنفين ــ كما سبق ان فصلنا فيه القول ــ هي الصخرة الاساسية لبناء التمدن الانساني • ثم اشير بقول « لتسكنوا اليها » في الآية ، الى ان المرأة موضع الراحة والسكينة للرجل • وليست وظيفتها الفطرية الا ان تهيىء للرجل زاوية أمن وسكون وراحة في هذه الدنيا المملوءة بالمتاعب والمشاق وهذه الزاوية هي حياة المرء العائلية التي قد تهاون بأمرها اهل الغرب من أجل المنافع المادية • والحال أن لهذه الشعبة من حياة المرء من الخطورة والاهمية ما لسائر شعب التمدن والعمران • وهذه أيضا لازمة للحياة التمدنية كلزوم سائر الشعب لها •

٢ ــ وهذه العلاقة الجنسية لا تقتضي المودة فيما بين الزوجين فحسب بل تقتضي مع ذلك ان تكون لكليهما صلة روحية عميقة بالولد الذي ينتج عن تلك العلاقة الودية بينهما • لذلك قد جعلت الفطرة في تكوين الانسان وفي

تكوين المرأة وفي طريقه حملها ورضاعتها على الاخص ، ما هو كفيل بأن يملأ شعاب قلبها بحب الاولاد . فيقول عز من قائل « حملته امه وهنا على وهن وفصاله في عامين» (لقمان : ١٤) .

ويقول في موضع آخر « حملته امه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا » « الاحقاف : ١٥ » وكذلك حال الرجل وان كان دون المرأة في حب الاولاد . « زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين » « آل عمران : ١٤ » وهذه المحبة والحنان الفطري تقيم اواصر الصهر والنسب بين أفراد الانسان ، ومن تلك الاواصر تنشأ الاسر والعائلات . ومن هذه تتألف القبائل والشعوب ومن روابط هذه الشعوب والقبائل ينتج التمدن « وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا » «الفرقان:٥٤» .

« يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » . « الحجرات : ١٣ » .

فقرابات الرحم وأواصر الصهر والانساب هي في الحقيقة مؤسسات بدائية طبيعية للتمدن الانساني،ويتوقف قيامها على ان يكون الاولاد من الآباء المعروفين المعلومين، وتحفظ الانساب من الخلط والزيف .

٣ ــ ومن مقتضى الفطرة الانسانية أيضا أنه ان ترك الانسان من ورائه شيئا كسبه بكد يمينه وعرق جبينه، يتركه لاولاده وأقاربه الذين بقي طيلة حياته مرتبطا بهم بقرابات الرحم والدم . « وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض » « الانفال : ٧٥» ويؤخذ من ذلك انحفظ الانساب مما تستلزمه قسمة الميراث أيضا . الخ [١] .

(١) اقرأ : الحجاب ، لابي الاعلى المودودي ٢٦٣ــ٢٧٧ .

« دعوة تحديد النسل . عرضها . مناقشتها »

الآن وبعد أن تكون ــ قارئي العزيز ــ قد خطوت معي هذه الخطوات المتزنة ، واطلعت على وجهة النظر الانسانية الاسلامية في الزواج والانسال فهضمت ذلك فهما واستيعابا ، ونصا وروحا ، ملتفتا الى ما فيها من مماشاة بل تجسيد لقوانين الفطرة والانسانية والقيم الاخلاقية والروحية والجدية والمنهجية الحقة التي لاتتوفر أبدا في غير الاسلام العادل ما بين مطالب الروح والبدن عدلا بلغ ــ كما بلغت تشريعاته الاخرى ــ به القمة ، والقمة مكانه أبدا .

فانك ستشاركني الاستغراب والحذر من الدعوة الجديدة التي قد بذر بذرتها اولالى الاستعمار الكافر بكل القيم والمثل ، فكان الداعية الاول اليها كما سنوضحه فيما يأتي ، والتي لا تزال تنبعث من هنا وهناك تدعو وتصر على تحديد النسل كمبدأ عام يسار عليه مع فرض عقوبة رادعة على مخالفته وتحدية معولة ومستندة على ما يأتي « ان تزايد عدد السكان في العالم سيؤدي حتما بالتالي الى أزمة سكن عارمة ومجاعة ضارية منشؤها عدم كفاية الانتاج

والارض الصالحة للسكن نسبة الى تلك الكثرة الهائلة والوفرة المتكاثرة مما يدعونا ــ تلافيا وحيلولة دون وقوع تلك الازمة ومضاعفاتها ــ الى المناداة والاصرار على التحكم في النسل وتحديده بتشريع مبدأ عام يوجب الوقوف بالنسل عند عدد معين لا يتخطاه بغية تجنيب الانسانية تلك الاخطار ودواعي الخراب والدمار » هذه هي الصورة الملخصة لمجموعة الادلة غير الطبية والتربوية التي تعتمدها تلكم الدعوة التي قد أغفلت ــ الى جانب ما اغفلت ــ نظرية السكان التي جاء بها « مالتوس » وقد جاء بنظريته بعد ان جمع كثيرا من الحقائق والمعلومات وهي تتلخص فيما يلي :

زيادة عدد السكان تكون بنسبة هندسية مطردة : ١ الى ٢ و ٤ و ٨ و ١٦ و ٣٢ و ٦٤ الخ بينما تزداد حاجات المعيشة بنسبة حسابية .

١ ، الى ٢ و ٣ و ٤ و ٥ و ٦ و ٧ الخ .

وحدد المدة التي يتضاعف خلالها عدد السكان ــ عادة ــ بخمسة وعشرين عاما أي انه في مدة ١٥٠ سنة ، يتضاعف عدد السكان ٦٤ (١ : ٢ : ٣ : ٤ : ٥ : ٦ : ٧) وعلى ذلك فان مالتوس يرى : ان المسألة خطيرة ، وان

هذه الزيادة غير المتناسبة تنتهي بالناس الى الفقر والشقاء، ومن ثم ارتفاع نسبة الوفيات ومعنى ذلك في كلمات أخرى: ان سعادة الانسان ورخاءه يضادان رغباته الجنسية في الزواج والنسل ، وان ازدياد السكان يؤدي بالمرء الى : الجوع والمرض ، والجريمة ، والحروب وغيرها من الوان الشقاء الانساني لذلك فهو ينصح ويقول : لاخير في زيادة السكان مالم تصحبها وفرة مماثلة ، في حاجة المعيشة ومطالب الحياة .

وعندما لاحظ احصاء انجلترا عام ١٨٠١ تبين له ان عدد سكان هذه الدولة يزيد زيادة بالغة دون زيادة في مطالب العيش تطرد مع حاجات السكان ، فانتهى به الرأي المشار اليه ، الى : انه مالم تتبع زيادة السكان : وفرة حاجات المعيشة فان المجتمعات سوف تجد صعوبة كبيرة في حل هذه المشكلة . فعلى المعنيين ان يلتفتوا بجد ويعملوا على توفير تلك المطالب الحياتية بالنسبة ذاتها ، ومما هو جدير بالذكر ــ ازاء آراء مالتوس ــ : أنه لم يذكر هو ولا العالمان المعاصران له ــ في جملة ما ذكروا من حلول ــ موضوع تحديد النسل كعلاج لهذه المشكلة [1] الامر

---

(١) اقرأ : مبادىء علم الاجتماع للدكتور صلاح العبد ص ٣٤ ــ ٣٧ بتصرف .

الذي يعزز وجهة النظر التي تشجب التحديد المحرم وتدعو الى استيحاء الحل الذي يدعمه الشرع ويؤيده المنطق والذي لا يثير أية مصاعب أو مفارقات في ظله الوريف .

هذا .

وأنت ـ أخي القارىء ـ جد خبير بما في تلك الدعوة ـ بالاضافة الى ذلك ـ من مغالطة وارتجال وتجاهل واغفال للقيم الروحية التي لها قيمتها ورأيها ومكانتها في كل قضية ، وفي الحكم على أية غاية أو وسيلة ولا سيما اذا كان يخص موضوعا اجتماعيا ذا أهمية كهذا ، تؤدي مخالفته وتجاهله الى كل هذه المضاعفات ويعتقد العالم (آدوم) ان عدم اهتمام الحضارات الغربية بتنفيذ الخطط الاجتماعية ، واتباع نظام حرية العمل في اغلب ظواهرهم الاجتماعية يهدد مدينة العالم ، لما أوجده هذا النظام من فجوة بين الناحيتين المادية والروحية من الحضارة وضرب أمثلة عديدة يتبين منها : انه تمشيا مع ارتفاع مستوى الحياة وارتفاع تكاليف المعيشة في العالم المتحضر ـ اضطرت المرأة في اوربا وامريكا الى العمل مما ساعد على تشجيع تحديد النسل بل الى انعدامه احيانا فاضعف ذلك الروابط العائلية في ناحية تعتبر من أهم دعائم الاسرة فازدادت نسبة الطلاق في تلك البلاد وواجهت المجتمع الامريكي وبعض المجتمعات

الاوربية المتحضرة مشكلتان خطيرتان تهددان كيان الاسرة والمجتمع • الا وهما انخفاض نسبة المواليد وارتفاع نسبة الطلاق • فالاولى تهدد المجتمع بالانقراض فالفناء ، نظرا لانخفاض معدل المواليد الى درجة انه اصبح في بعض الدول الغربية اقل من معدل الوفيات ، كما ان الثانية وهي ارتفاع نسبة الطلاق تهدد كيان الاسرة بالانحلال ، وهي اهم المؤسسات الاجتماعية في المجتمع ، ومرد ذلك على ما يعلله أحد العلماء : الى عدم وجود توازن بين الناحية المادية للحضارة والناحية الروحية من الحضارة • [1] •

علما بأنك قد توفرت وتتوفر على رأي خاتمةرسالات السماء الاسلام العظيم معمق تلكم القيم ومربي الارواح والهمم ، وعلى حثه وبعثه باستمرار على الزواج اشباعا الى حاجة الانسان البايولوجية الى الجنس وتفاديا لمضاعفاتها الضارة ، وقياما بواجب حفظ النوع والعمل على تقويته وتوسيعه ثم على نهيه الاتية الاشارة اليه الرادع : عن قتل الاولاد تفاديا لمشاكل اقتصادية يكون الانسان نفسه مسؤولا عنها حدوثا ، وعن عدم المسارعة الى التغلب والقضاء عليها استمرارا •

فالمشكلة مهما كانت اسبابها ودرجة خطورتها سرعان

---

(١) اقرأ مبادىء علم الاجتماع ص ١٩ــ٢٠ بتصرف.

ما تزول ان هي قوبلت ومتى ما لقيت تفهما والتفاتة من الدولة ، وتحسسا ووعيا من الامة ، فالتحاما وعملا مشتركا من جانبيهما معا في مجالاته .

يتمثل هذا المجهود الباني في التصدي من جانب الى تهيئة المعامل والوظائف واعداد الارض للسكن والتصنيع والزراعة النافعة لاغير ، والتعهد والتعاهد للامة وهي تقوم بالشؤون والمسؤوليات حتى لا تسيىء استغلال الحقوق ولا تفرط بالمعطيات أو توزع وتبدد أموالها في غيرالنافعات من الضروريات .

وفي الاقبال من الجانب الثانيعلى الاعمار والاستثمار والقيام بالواجب نحو الدولة والشعب خاضعا لاشراف الدولة متقيدا بحرفية نصوصها المشرعة من أجلحياةأفضل.

وبالبند الاول من هذا الحل الانساني السلمي العادل نستطيع تجنيب المجتمع مشكلة الجوع الملمع اليه في دعوة التحديد وفي البند الثاني منه نوفق الى القضاء على أزمة السكن والى أبداء العون المجدي للتخفيف من حدة أزمة الجوع كما لا يخفى .

هذا .

وان عندنا ــ والحمد لله ــ ولا سيما نحن المسلمين مساحات شاسعة ، ومسافات واسعة ، وامكانات رافعة

تساعدنا على التوفر والسيطرة على ذلك والتوصل اليه الا أنه يتطلب منا مجتمعين جدية وجذرية في القول والعمل مع صبر وحرص وانكار ذات .

« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون» يراه ويلحظه منكم متعاونين متضامنين موحدي الجهود والفعاليات « وتعاونوا على البر والتقوى » في سبيل أن تبنوا مجتمعا يحفل بمقومات البقاء والاستمرار روحيا وماديا .

وفي رأي أن من الضروري والضروري جدا أن تتبنى المنظمات العالمية الاسلامية والانسانية هذه الفكرة الرائدة والمشروع الانساني الهادف وتقوم بنشاطاتها المجدية وفعالياتها الجادة في هذا المضمار ، فتبث التوعية ، وتلفت الانظار انظار الحكومات والشعوب على السواء اليه ليقوم كل منهما بمسؤولياته وبدوره الكامل في هذه المسرحية الانسانية الفاتحة اذ « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته » ويتحمل ــ بلا ريب ــ نتائج التفريط والتضييع والاهمال لهذا الواجب « وقفوهم انهم مسؤولون »

الآية ٢٤ من سورة الصافات .

فبهذا التعاون الجماعي الجدي وبما أوصينا ونوصي

به وتؤكد على مراعاته : نضمن النتائـج الطيبة والآثار الصالحة والنجاح التام لمشروعنا المهم هذا ونخرج رافعي الرأس من هذه العهدة أمام الله والتاريخ والانسانية «وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما » .

نعم ــ قارئي الكامل ــ

لقـد توفرت وستتوفر اكثر : على رأي الاسـلام وحكمته العالية من وراء تشريعه هذا ، ثم على نهيه الزاجر عن الاقدام واللجوء الى قتل الولد كوسيلة للتخفيف من حدة ضغط الفقر والتخلص من ضراوة الجوع .

استمع اليه وهو يصدر تشريعه الرادع عن تلك الجريمة الكبرى بحق الانسانية التي قد كان فيها الى جانب مافيها من الهناة غير الهينات : نوع من عدم الثقة بالله تعالى معاتبا الانسان ــ ومن حيث يخفي ــ على فقدانه الحكمة والثقة فاتحا له أبواب التفاؤل بالمستقبل الزاهر ، ملفتا نظره الى الوجود وما فيه من الامكانات الضخمـة والاستعدادات الفخمة للبقاء .

« ولا تقتلوا أولادكم خشية أمـلاق نحن نرزقهـم واياكم » الآية ٣١ من سورة الاسراء كما وأنه قد اشار ونوه

عن تعهد الله تعالى بالارزاق وبشكل يثير الثقة ويبعث على الاطمئنان المحتم .

« وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم » الآية ٦٠ من سورة العنكبوت علما بأن تلك الامكانات من وسائل المعاش والسكن معدة ومؤهلة، وميسرة ومذللة للانسان لا تريد منه الا الشعور والحضور والمشي والسعي للوصول اليها والافادة منها « هو الذي جعل لكم الارض ذلولا فأمشوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور » الآية ١٥ من سورة الملك .

عرض موجز للاقتصاد الاسلامي

بهذه الروح العالية من الرحابة ، والثقة بالله المتكفل بالارزاق ألرؤف بالعباد والثقة بالدولة والامة كذلك : يعالج الاسلام هذه المشكلة فيضع الحلول العملية الواقية للحيلولة دون وقوعها ابتداءاً والاخرى الجابرة للتخفيف من حدتها فيما لو حدثت صدفة تفادياً لمضاعفاتها الخطيرة .

في نظام اقتصادي بناء اعترف فيه بملكية الدولة والفرد والشركة أساسا له وقاعدة محددا الوسيلة والطرق الى ذلك ، كما وانه عمل على توزيع الثروة وعلى عدم حصرها

في محل واحد لا تتعداه ، هذا بالاضافة الى أنه قد فرض فروضا مالية ، ليحول بذلك كله دون حدوث التضخم المالي ، ودون تولد الفجوات الواسعة ما بين الطبقات وليضمن اخيراً سد وتغطية نفقات المسؤليات العامة والمعوزين من أفراد الامة ، وقد وضع لنظامه الاقتصادي الملمع اليه الذي تتجلى فيه روحه الجماعية ونزعته الانسانية وقيمه الاخلاقية بوضوح : اسسا عشرة مترابطة بعضها مع بعض تتكفل صيانة الثروات والتوازن الاقتصادي بين أفراد المجتمع وهي :

١ ــ العمل واجب على كل قادر محتاج .

٢ ــ تحديد موارد الكسب .

٣ ــ أخراج جزء من فائض الكسب على الحاجة : الزكاة والخمس .

٤ ــ الحجر على الذين يسيئون التصرف في الاموال .

٥ ــ توزيع الميراث توزيعا عادلا .

٦ ــ تكافؤ الفرص .

٧ ــ الزام الجميع بمالا يستقيم النظام الا به .

٨ ــ حق الدولة للشرعية في أخذ ما تحتاج اليه من

الثروان للثالوث الاجتماعي الفقـر والجهـل والمرض .

٩ ــ التسامي بالنفس عن القيم المادية .

١٠ ــ المساواة في توزيع الخيرات .

هذه هي المبادىء العامة للنظام الاقتصادي الاسلامي الذي هو في عقيدتي العلاج الناجع والمنقذ الوحيـد من النكسة الاقتصادية التي يعيشها الانسان الآن في كل مكان.

أجـل :

وبهذه الروح العالية يطلب الى اولياء الامور النظـر اليها ومسايرتها لغاية التوصل الى ضمان مكاسبها الكثيرة ومعطياتهـا الوفيرة التي هي عبـارة عن الخيـر والغنى والرحمة ، والاعتـدال والكرامة ولقوة في ظل ذلـك . « ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا مؤمنون .

الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونـه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر . ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم، فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل

معه أولئك هم المفلحون » الآية ١٥٦ ــ ١٥٧ من سورة الاعراف .

اعلام الأمة تشجب التحديد

هذا :

وبعد ان أكون قد اشبعت هذا الموضوع بحثا محاولا جهدي وآملا ــ بعون الله تعالى ــ في أن يصحبني التوفيق والسداد ، وأنا أروم تسليط الاضواء الكشافة عليه ، وبالشكل الذي لا يدع فيه أي غموض أو ايهام فيما مضى ويأتي .

فانه يحسن بي هنا ــ وقبل أن اعود لمناقشة المشكلة ثانية ــ أن أسرد اقوال بعض اعلام الامة في هذه المشكلة تمكينا وترسيخا ، وتوطيدا وتعميقا لما استنتجته من نتائج وافكار ، واليك ذلك :

قال سماحة المرجع الاعلى للمسلمين الامام السيد محسن الطباطبائي الحكيم ــ مد ظله ــ مجيبا على استفتاء تشرفت بتقديمه اليه هذا نصه :

ما تقولون في الدعوة التي تطالب بتحديد النسل كمبدأ

عام يحال الى العقاب من يخالفه ويتحداه ، وهل تجدون في ذلك ما يتجافى والاسلام ، أم لا • افتونا مأجورين دام ظلكم على رؤوس المسلمين وكان الجواب نصا :

بسم الله الرحمن الرحيم وله الحمد :

نعم يتنافى ذلك وقاعدة : الناس مسلطون على انفسهم اذ لا يوجد دليل يقتضي الخروج عنها في المقام ، فيجب العمل عليها والله سبحانه ولي التوفيق والسداد •

ويقول الاستاذ الاكبر الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الازهر الاسبق : التفكير في تحديد النسل لافراد الامة لا يجيزه الدين بحال ، ولا ترضاه الشريعة الاسلامية السمحة ولا يمكن تحقيقه بقانون عام يطبق على جميع الافراد •

وفيهم هذا الهلع من كثرة النسل ونحن في هذه الحياة قد تكفل المولى جل شأنه بأرزاقنا اذ يقول : «وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين » ثم يقول بعد كلام طويل :

ألسنا أمة ناهضة ؟ ألسنا في حاجة الى أعداد جيشنا أعدادا يتفق ومقتضيات العهد الجديد ؟ وهذا لا يتأتي الا عن طريق زيادة ابناء الامة واكثار عددهم •

ان دعوة تحديد النسل هدم لكيان الامة ، وجريمة في حقها » [1] .

وقال الدكتور صبري القباني : واعتقد أن ما يطبق في الهند يستحيل الأخذ به في البلاد العربية التي لم يزدد عدد سكانها طوال ربع القرن الماضي الا زيادة ضئيلة فضلا عن اتساع رقعتها بالنسبة لعدد سكانها ، وفضلا عن المبررات الخارجية والداخلية التي تهيب بالمواطنين أن يختاروا طريق زيادةالنسل بدلا من تحديده .فنحن مهددون من الخارج بالاجتياح والاكتساح ، ومعرضون لعدوان الجشع الاستعماري ، مما يستلزم السواعد القوية العديدة لرده وصده ، وحماية الوطن منه .

أما في الداخل فان ثرواتنا البكر في أشد الحاجة الى الايدي العاملة لاستغلالها على وجه يشبع في في البلاد الهناء والنماء والازدهار . ويساعد الركب على المضي في سبيله الصاعد » [2]

وتقول الدكتورة درية شفيق : الاصل لدى غالبية

---

(١) اقرأ « منع الحمل » الدكتور محمد فتحي ص٣١-٣٢ . الطبعة الثانية .

(٢) « أطفال تحت الطلب ومنع الحمل » ص١٩-٢٠ الطبعة العاشرة .

الشعوب : هو عدم تحديد النسل بل بالعكس هناك حكومات تشجع انجاب الاطفال وتكافيء الامهات المنجبات لأن الاطفال هم عدة البلاد وعمادها في المستقبل سواء في السلم أو الحرب ، وخاصة في الانتاج » (٢) .

ويشرح الاستاذ علي جمال الدين ويوضح مبدأ شيوع هذه الدعوة ومصدرها فيقول :

ألدعوة الى تحديد النسل كانت حتى عهد قريب دعوة غريبة عن مصر ، فلما كان الاحتلال ظهر بعض الاجانب الذين تبرعوا بدافع من أنفسهم لبث هذه الدعوة في عقول المصريين زاعمين ان الموارد الطبيعية لا تكفي الا ١٢ مليونا من المواطنين .

وكان من الداعين اليها المسيو مينوست مدير البنك العقاري المصري السابق ، والمستر وندل كليلاند مدير الخدمة الاجتماعية بالجامعة الامريكية .

ويظهر أن هؤلاء الاجانب قد عهدوا برسالتهم هذه الى بعض المصريين الذين رفعوا رسالتها بأخلاص وأخذوا يحاربون من أجلها ، فرأيناهم يدعون الى رفع سن الزواج،

---

(٢) « منع الحمل » الدكتور محمد فتحي ص ٣٢.

أو الاضراب عنه ، ويشترطون الكفاية المالية لمن يريد الزواج .. الخ .. زاعمين أيضا أن هذه هي الوسيلة الوحيدة لرفع مستوى المعيشة .

ان الدعوة لتحديد النسل في بعض البلدان جريمة، لأن الدولة منذ قيامها في العصر الحديث ، لم تقدم على الاستفادة من الموارد الطبيعية فيها لتزيد من الثروة القومية لمواطنيها وترفع من مستواهم المعيشي ، ولانها منذ ان وجدت لم تعمل على زيادة رقعة الارض المزروعة ، ولانها لم تشجع حتى اليوم قيام الصناعات ، ولانها ما زالت تخشى غير ذلك من الامور التي كان يجب ان تقدم عليها لرفع المستوى المعيشي فمهمة الدولة هي توفير الغذاء والكساء لمواطنيها وليست مهمتها قتل الاخلاق وقتل الافراد بالجملة لانها ان فعلت ذلك تكون قد فهمت رسالتها ، على أنها عامل مخرب كالفيضانات والمجاعات والحروب» [1].

وقال الشيخ حسنين محمد مخلوف مفتي الديار المصرية سابقا : فما كان تحديد النسل وسيلة للاصلاح في وقت من الاوقات وانما سبيل اسعاد الامة ورفاهيتها تقويتها في اجسامها وارزاقها وثروتها واقتصادياتها حتى اذا ما قويت في كل ذلك كان لها من ابناءها الكثيرين قوة عظمى تنفعها

---

(١) « منع الحمل » ص ٥٦ — ٥٨ .

في الذود عن حماها ، وفي الحياة الكريمة بين الامم القوية » [1] .

هذا . ويرى الاستاذ سلامة موسى : (ان دول الاستعمار تصر على الدعوة الى تحديد النسل وتسرف فيها لانها تخشى زيادة سكان المستعمرات وخاصة بعد نهوضها وتخلصها من ذل الاستعمار . وحسبنا معنى ومغزى ان نعرف ان حكومة فرنسا تؤدي أعانات مالية كبيرة الى الآباء حتى يكثروا من التناسل . ودعا احد رجال العلم المجربين في انجلترة الى منع توريد الادوية الحديثة التي تساعد على الحمل الى الامم المتخلفة حتى لا يكثر النسل فيها . يجب أن نفتح عيوننا في معالجة هذا الموضوع .. الخ ..

ولكن اعارض ان يصبح تحديد النسل دعوة عامة للشعب ، لأن هذه الدعوة في أساسها استعمارية » [1] . وسئل الشيخ ابو زهرة لقد تكاثر عدد الامة المصرية اذ بلغ عددها نحو ٢٢ مليونا فهل يسوغ على ضوء ما ذكرت ان يوضع نظام يمنع الحمل لاكثر من عدد معين على ان ينظم ذلك بقانون مانع يضع عقوبات لمن يخالفه ، فقال : عندما

---

(١) المصدر السابق ص ٥٥ .
(١) المصدر نفسه ص ٤٣ – ٤٤ .

يفكر عالم مسلم في أمر وضع نظام لمنع الحمل لاكثر من عدد معين ، او وضع عقوبة لمن يزيد نسله على ذلك العدد: يجب ان يضع نصب عينيه أمرين : الامر الاول انالنصوص الاسلامية تحث على ضرورة تكاثر الامة الاسلامية في مثل قوله صلى الله عليه وآله وسلم • « تناكحوا وتناسلوا تكثروا فأني مباه بكم الامم يوم القيامة » •

فكل قانون يوضع للحد من هذه الكثرة يصادم هذه النصوص الثابتة •

الامر الثاني : ان العالم المسلم عندما يفكر يجب ان يكون تفكيره على أساس أن المسلمين جميعا امة واحدة ، لاعلى اساس النظرة الاقليمية فليس وطن العالم المسلم مصر فقط انما وطنه الاكبر هو البلادالاسلامية كلها ، ولو درسنا الموضوع على ضوء هذا لوجدنا ان البلاد الاسلامية في مشارق الارض ومغاربها لا تضيق عن سكانها بل انا اكثرها مقفر من السكان ، ففي العراق ١٨ مليونا من الاراضي الزراعية ، لا يسكنه الا بضع ملايين في حين انه في صدر الدولة العباسية كان يسكنه اكثر من ٤٠ مليونا وسوريا مواردها اكثر من سكانها كذلك ، وهكذا باكستانوغيرها، وعلى ذلك فلا يسوغ لي أن أقول : انه يصح ان يوضع

قانون يحد مد الحمل ويعاقب من يخالفه » [1] .

ويقول الشيخ الحسيني سلطان عميد كلية اصول الدين السابق : لم نصل ولن نصل الى الحالة التي نلجأ فيها الى تحديد النسل كمبدأ عام يلتزم به الجميع لأن هذه الحالة غير متصورة الوقوع » [2] .

ويؤكد ذلك فضيلة الاستاذ الأكبر الراحل الشيخ محمود شلتوت شيخ الازهر السابق فيقول محذرا الامة من مغبة الانسياق مع هذه الرياح الهوج والتيارات الطارئة :

« لعل من أغرب ماحملته الينا التيارات الغربية وجرى على السنتنا كأقتراحات ننظم بها شؤوننا : كلمة (تحديد النسل) وتحديد النسل في ما يريدون : وضع قانون عام يوجب الوقوف بالنسل عند عدد معين وتحديد النسل بهذا المعنى تأباه طبيعة الكون المستمرة في النمو والازدياد ، وحكمة الحكيم القاضية بأستخدام القوى الموهوبة للانسان في الحصول على الاهداف التي رتبتها الحكمة على هذه القوى ، ويأباه بعد هذا وذاك تنبه الوعي القومي للامة

(١) نفس المصدر ص ٧٢ – ٧٣ ، بتصرف .
(٢) المصدر نفسه ص ٣٣ .

الذي يتطلب كثرة الايدي العاملة فيها ، واتساع نطاق العمل في جميع نواحي الاستثمارحتى تهيىء نفسها للاستغناء ـ موارد الحياة عن غيرها .

وبذلك نغرس عنصر الاستقلال الاقتصادي الذي يعتبر بحق اساسا قويا للاستقلال السياسي » [1] .

هذا :

ويعمق سماحة المجتهدالكبير المجاهدالسيد عبدالكريم آل السيد علي خان مد ظله ـ وهو أحد علماء الامامية الاعلام اليوم ـ:

فكرة شجب هذه الدعوة الدخيلة معبرا ومؤكدا في أن التحديد المطلوب هذا لم يكن هو الحل الوحيد لهذه المشكلة ـ مع التنازل لاطلاق اسم الحل عليه ـ اذ هناك حل بل حلول يقضي بالرجوع اليها وبمراعاتها على كل المحاذير المدرجة في صحيفة الدعاة اليه ، فيقول في رسالة بعث بها الي مشكورا يأمرني فيها ـ وأمره المطاع ـ في ان اكتب بي هذا الموضوع بحثا موضوعيا اتوفر فيه على المشكلة هاته استيعابا لجوانبها وذكرا لدواعيها ومعالجة لتركتها المثقلة ، واليك نص بيانه الباني :

(١) المصدر نفسه ص ٥٠ ـ ٥١ .

وبعـد :

فان بعض المؤمنين طلب الي : أن اطلب الى بعض ذوي الاقلام من الاعلام في ان يكتبوا في موضوع اسلامي يتكفل تأييف بعض الاراء الشاذة التي ينشرها الغربيون ومن حذا حذوهم ، والتث تنص علـى ان الاقتضاء الزمنـي يوجب الجري على ما يستلزمه تقليل النسل لعدة موهمـات منها ما سوف يقتضيه الاطلاق وعدم التحديد لهذا الموضوع من ضيق العالم عن المطعم والمسكن والوقوع من جراء ذلـك التضايق في التزاحم وخرق النظام ونظائرهما مما يستدعيه عدم الكفاية وسد الحاجة فالمرغوب أن تكتبوا في تفنيـد هذه النظرية بما تقتضيه الآيات القرآنية وما جرى مجراها من مندوبية تكثير النسل ولا سيما لاهل التوحيد وما يزعم من أن الكثرة تؤدي الى الضيق في السكن والمعاش تكذبه سعة الارض وكثرة المساحات الصالحة لذلك التي هـي مهملة حاليـا من حيث عدم الالتفات أو عدم الحاجة اليها في شتى الاقطار .

نعـم :

تحتاج هذه الاراضي الى الاصلاح والاعمار ، فلـو استبدلوا ما يصرفونه في الخمرة ومعدات الفساد الاخـرى من الاموال الطائلة التي تقوم ملايين النفوس : بما يؤدي

الى اصلاح الاراضي وتكثير الزراعة النافعة والتقليل او المنع من الزراعات الضارة كالافيون والتبغ ونحوهما لكان ذلك أجدى وأجدر مضافا الى ما عليه الاعتقاد الاسلامي من تكفل الخالق الرحيم بالارزاق » .

هذا :

وان النداء الذي قد وجهه الدكتور سوكارنو من المذياع الى الشعب الاندنوسي المسلم يطلب فيه اليه : التسابق والتنافس في انجاب الاطفال ولو يكلف ذلك الرجل منه بالزواج من اكثر من زوجة واحدة اذ أن ذلك يعتبر منه خير وأجدى خدمة يقدمها للوطن : سيبقى يرن ويرن ويدوي في الفضاء محفزا وباعثا رؤساء وملوك الدول عامة ، والمسلمين منهم بخاصة يبعثهم على القيام بعمل مماثل احتياطا لقوة الامة وصيانة لمنعتها وهيبتها ، وحرصا وضمانا أخيرا لتوسيعها ثروة وسكانا شريطة أن يعني بما ألمعنا آنفا اليه واكدنا عليه مما تلزم مراعاته والعناية به على الصعيدين الاسلامي والانساني والشعبي والحكومي سدا لذرايع الفساد ، وتأمينا لعدم حدوث مفارقات بسبب التفريط بذلك .

هذه هي بعض الاقوال التي قد نصت على شجب هاته الدعوة ، ذكرتها على طولها لاعمق النتائج التي استخلصتها

من سبري الدؤب وتطوا في المتواصل واستقرائي الجـدي للادلة والبراهين ــ كما نوهت عنه سابقا ــ في هذا المضمار قياما بالواجب وخدمة للانسانية علما بأن أي رأي وكل قول في هذه الا ضمامة العبقة والسلسلة الذهبية قد أتى مختلفا عن أخيه ان لم يكن من حيث المبنى فمن حيث الاستنتـاج والعرض ــ على الاقل ــ ، فلذلك لم يسعني الاستغنـاء والاكتفاء بواحد عن الآخر ، وبالبعض عن الكل .

نعم . ذكرتها هنا من أجل ذلك ومن أجل ان اعرض الصورة التامة واللوحة الكاملة لهذه المشكلة بكافة جوانبها ومضاعفاتها وتناقضاتها ، مستهدفـا بهذا كله لفت انظـار البشرية الى الجوانب المعتمة في هذه الدعوة النشاز، وكشف النقاب عن وجود حلول اخرى لها كالتي جاء بها مالتوس والعالمان المعاصران له وغيرهم ، وما دام للمشكلة حلول أخرى وما دامت المشكلة تحل من طريق آخر غير التحديد العام ، فانه لا يسوغ اللجوء اليه حينئذ لانه محرم شرعـا ومستلزم للتناقضات التي نوهنا عنها هنا اكثر من مـرة ، ورواميا اخيرا ومركزا على دعوة البشرية الى الوقوف صفا واحداً ويدا واحدة في وجه هذه الدعوة سـدا لذرايـع الضلال والفساد ودفعا للمحاذير .

هــذا :

وان الاسلام اذ يعطي رأيه الصريح فيشجب بقوة مبدأ تحديد النسل بشكل عام متلاقيا في ذلك مع المثل والقيم لايقف في مقام معالجته أو جبره لهذه المشكلة عند حدود الوعود بالتوسعة ، بل نراه يتخطاها بحزم وأناة الى التطبيق والانفاذ فيلتزم ويلزم الجهة المسؤولة « بيت المال » بتغطية نفقات المعوزين مهما بلغت « وفي أموالهم حق للسائل والمحروم » الآية ١٩ من سورة الذاريات كما أشرنا اليه حينما اعطينا صورة اجماليةعن الاقتصاد الاسلامي المعطاء فيما سبق . وانما أعدنا التنويه به هنا ، فذلك من أجل التنبيه على ما في الاسلام من يسر ورحمة وضبط وأحكام يجعله ممتازا ومتفردا وعادلا وسباقا في كل الميادين .

فما أحوج الامة ، وما أحوجنا ـ ونحن نعيش هذا الواقع السيىء على أعصابنا ـ الى ان نحكم الاسلام صاحب الامتيازات هذه في المجالات الحياتية عامة ، ونحياه مبدءاً وعقيدة وسلوكا ونظاما فنحصل بهذا وبه فحسب على الجيل الناصح والوضع الصالح الحافل بالسعادة والطمأنينة والاعتدال والبركات والمنافع والازدهار مبعدين عنا بعلمنا البطولي هذا أسباب الضياع والهلاك والدمار في دارنا هذه وفي تلك الدار .

« قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا الذي

له ملك السموات والارض لا إله الا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته ،واتبعوه لعلكم تهتدون » الآية ١٥٨ من سورة الاعراف « قل يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل » الآية ١٠٨ من سورة يونس .

« قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدي به الله من أتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور بأذنه ويهديهم الى صراط مستقيم » الآية ١٥ — ١٦ من سورة المائدة وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين... وحسبنا الله ونعم الوكيل .

النجف الاشـــرف عبد الرسول السيد علي خان

مراجـــع الكتاب

القرآن القريم

مجمع البيان — للامام الطبرسي

الترتيب والبيان — لمحمد زكي صالح

مستمسك العروة الوثقي — لسماحة الامام الحكيم

منهاج الصالحين — لسماحة الامام الحكيم مدظله

دين وتمدين — للحوماني

الحجاب — للمودودي

قلائد الدرر في بيان الاحكام بالاثر — للشيخ احمد الجزائري

أولاد تحت الطلب — للدكتور صبري القباني

منع الحمل — للدكتور محمد فتحي

من وحي اهل البيت — للمؤلف

مبادىء علم الاجتماع — للدكتور صلاح العبد